# الفصل الثالث : في الثنائيات اللغوية

## أولا : ( أب – أخ ... )

## ثانيا : أم

## ثالثا : دم

**أولا : ( أب–أخ... ) :**

كان ابن درستويه من أكثر القدماء جدلا وإثارة للخلاف وإبداعا في عرض رؤيته ، نجده يعرض فيما يلي رؤيته في ثلاثية عدد من تلك الجذور وهو يرد على ثعلب : " أما قوله هو أب بين الأبوة ، وأخ بين الأخوة ، وابن بين البنوة ، وعم بين العمومة ، وخال بين الخئولة ، وأم بينة الأمومة ، وأمة بينة الأموة ، فليس أب ولا أخ ولا خال ولا أم ولا أمة على وزن ( فعْل ) بسكون العين كما ذكر وترجم به الباب ، بل أكثرها على ( فعَل ) بفتح العين من الفعل ، ولاماتها محذوفة ، والأم أيضا مضمومة الأول مع ذلك فهي على وزن ( فُعْل) مع الحذف ، ولكن الأبوة والأخوة والبنوة والعمومة والخئولة والأموة على الفعولة كما ذكر لأن الحروف المحذوفة منها قد ردت إليها في هذه المصادر " [1] .

يتضح من رد ابن درستويه السابق على ثعلب أن الأخير قد عدها على وزن ( فعْل ) وكأنها مشددة العين وهذا يتضح من عرضه لرد آخر ، يقول : " هو أبٌ لك ، وأخٌ لك ، فاعلم أن هذه الأسماء تشدد آخرها العامة ، والعرب قد تشدد بعضها وذلك خطأ ، لأن الأب أصلها : أَبَوٌ بالواو على وزن فَعَل ، وكذلك الأخ ، والدليل على ذلك ظاهر في تثنيتها وهو قولك أبوان وأخوان ، لكن الواو حذفت منها في توحيدهما وفي إفرادهما ، لأنها كانت في موضع تلحقه حركات الإعراب وهي في اسم مضمر بالإضافة ، فأسقطت منهما الواو فحذفت ، فبقيا على حرفين خفيفين ، كما كانا في التثنية ، وهما أبٌ وأخٌ بغير تشديد ، وإذا أضيفا أو ثنيا ، ردت الواو المحذوفة منهما فقيل : أخوك وأبوك بغير تشديد أيضا ... وقد أَبوته آبوه ، وآخيته فأنا أواخيه ، وهم الآباء والإخوة ، وكذلك ترد في التصغير فيقال : ... أُبَيّ وأُخَيّ " [2] .

و إلى قريب من ذلك ذهب الزمخشري في شرحه للفصيح : " والأبوّة على فعولة : الأب : اسم ناقص كان في الأصل أبَو ، على فَعَل ، فحذف آخره ، وهو الواو ، والدليل عليه أنك إذا ثنيت قلت :

[1]- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه 201
[2]- تصحيح الفصيح و شرحه ، 395

أبوان ، وكذلك القول في الأخ وتثنيته : أخوان ، وجمع الأب آباء ، ويقال أبون في حالة الرفع ، وأبين في حالة النصب والجر ، وعلى هذا قراءة من قرأ { إله أبيك إبراهيم وإسماعيل واسحاق }[1]، أراد أبينك فحذف النون ، وأراد جمع الأب "[2] .

ولم يكن خلافهم حول أصل ( أب – أخ ) فحسب ، بل اختلفوا أيضا من الفعل منهما ووقعوا في اضطراب ، يظهر ذلك الخلاف أكثر في قول ابن درستويه : " وقد حكي في الأب : كنت أبا ولقد أبوت ، وما كنت أخًا ولقد أخوت ، على فَعَلت ... حكاه لنا ثعلب عن سلمة عن الفراء ، وهذا خلاف قياس المصدر منهما وهو الأبوة والأخوة وخلاف أبنية الفعل المضارع للانتقال من حال إلى حال وكان قياسه أن يقال : أبُوت وأخُوت على فعُلت بضم العين من الماضي والمستقبل كقولك : هو يأبو ويأخو ، على مثال كرُم يكرُم وظرف يظرف ... ويقول بعضهم : أبِيت من الأب على فعِلت ، بكسر العين من الماضي وحكي ذلك لنا ... عن اليزيدي وهذا أقيس مما حكي عن الفراء ، لأن فَعِل تدخل على فعُل لأنها أيضا من أمثلة ما لا يتعدى "[3] .

و من العرض السابق يظهر لنا خلافهم حول :

**1-** أصل ( أب وأخ ) هل هو أبٌ وأخٌ بالتضعيف ، أم أبَوٌ وأخَوٌ بثالث يتم حذفه في مواضع ورده في أخرى؟

**2-** الفعل من ( أب وأخ ) هل هو : أبَوته آبُوه وآخيته أواخيه ، أم أبُوت وأخُوت ، أم أبُوْت وأخُوْت ، أم أبِيت وأخِيت ؟ ، وهو تخبط ناتج عن عدم اتفاق حول جذر ( أب وأخ ) فوضعوا أفعالا مختلفة مضطربة على عدة أوزان : ( فاعَل – فَعَل – فعُل – فعِل ) على الترتيب .

---

[1] - من سورة البقرة ونص الآية : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة 2/ 133 )

[2]- شرح الفصيح ، للزمخشري 277 - 278

[3]- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه , 210

و لم يكن بقية النحاة القدماء بأفضل حالا في معالجة ( أب وأخ ) ومعهما بقية الأسماء الستة، فلقد ظهر في معطياتهم كثيرمن الاختلاف والاضطراب واتفقوا جميعا على أنها في أصل بنائها على ثلاثة أحرف .

جاء في لسان العرب " الأخ كان تأسيس أصل بنائه على فَعَل بثلاث متحركات وكذلك الأب ، فاستثقلوا ذلك وألقوا الواو وفيها ثلاثة أشياء : حرف وصرف وصوت ، فربما ألقوا الواو والياء بصرفها فأبقوا فيها الصوت فاعتمد الصوت على حركة ما قبله فإن كانت الحركة فتحة صار الصوت منها ألفا لينة ، وإن كانت ضمة صار معها واواً لينة ، وإن كانت كسرة صار معها ياءً لينة ، فاعتمد صوت واو الأخ على فتحة الخاء فصار معها ألفا لينة : أخا ، وكذلك أبا " [1] .

وهم في ذلك يعالجون القضية كالسائر من الأمام إلى الخلف فكأن الثلاثي هو ما أدى إلى الثنائي ، ويتأكد ذلك من قولهم " ثم ألقوا الألف استخفافا ( يقصد أخا ، أبا ) لكثرة استعمالهم وبقيت الخاء على حركتها فجرت على وجوه النحو لقصد الاسم " [2] .

و استدلوا على الثلاثية في أب وأخ – كما سبق – بالمصدر والتثنية والجمع أيضا جاء في لسان العرب : " والأب أصله أبو بالتحريك لأن جمعه آباء مثل قفا وأقفاء " [3] .

و لما حاول البصريون والكوفيون مناقشة ثلاثية الأسماء الستة ومنها ( أب وأخ ) عن طريق الإعراب أوقعونا في اضطراب أكبر من ذي قبل ، ومن ذلك ما جاء في الإنصاف : " أما من ذهب إلى أنها إذا كانت مرفوعة ففيها نقل بلا قلب وإذا كانت منصوبة ففيها قلب بلا نقل وإذا كانت مجرورة ففيها نقل وقلب ، فقال : لأن الأصل في قولك ( هذا أبوه ) : هذا أَبُوُهُ ، فاستثقلت الضمة على الواو فنقلت إلى ما قبلها وبقيت الواو على حالها فكان فيه نقل بلا قلب ، والأصل في قولك ( رأيت أباه ) رأيت أَبَوَه ،

---

[1]- لسان العرب / أخا
[2]- لسان العرب / أخا
[3]- لسان العرب / أبي

فتحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا فكان فيه قلب بلا نقل ، والأصل في قولك " مررت بأبيه " مررت بأبَوِه فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى ما قبلها فقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فكان فيه نقل وقلب " [1] .

و في تحديد علامات الإعراب ذهب الكوفيون إلى أنها معربة من مكانين :

**1-** في حالة الإفراد تعرب بالحركات بعد إسقاط الواو استثقالا لها وفي حالة الإضافة تعرب بالحركات أيضا مع وجود الواو والياء والألف .

**2-** و تعد الواو الياء والألف إعرابا أيضا فيكون إعرابها من مكانين ، ومن الكوفيين من تمسك بقوله : أعربت من مكانين لقلة حروفها تكثيرا لها .

و ذهب البصريون إلى أنها معربة من مكان واحد والواو والألف والياء هي حروف الإعراب ، وذهب الأخفش إلى أنها ليست حروف إعراب ولكنها دلائل الإعراب كالواو والألف والياء في التثنية والجمع وليست بلام الفعل ، ... وذهب أبو عثمان المازني إلى أن الياء حرف الإعراب وإنما الواو والألف نشأت عن إشباع الحركات [2] .

وعاد ابن الأنباري ليرفض القول بإشباع الحركات وفي رأيه " هذا القول ظاهر الفساد لأن إشباع الحركات إنما يكون في ضرورة الشعر وأما في حال اختيار الكلام فلا يجوز ذلك بالإجماع " [3] .

و عاد فريق يرد على خصمه القائل " إنما أعربت هذه الأسماء الستة من مكانين لقلة حروفها ... هذا ينتقض بـ ( غد ويد ودم ) فإنها قليلة الحروف ولا تعرب في حال الإضافة إلا من مكان واحد "4

و ذهب بعضهم إلى أن الواو والياء والألف في مثل ( أبو ) ليست بحروف إعراب كالدال في زيد ولكنها دلائل الإعراب لأنها تتبدل والدال في زيد لا تتبدل [5] . ولعل هذا الرأي هو أقرب الآراء إلى

---

[1]- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين 18

[2]- انظر : الإنصاف ، 13 – 14 بتصرف

[3]- الإنصاف ، 22

[4]- الإنصاف ، 24

[5]- انظر : الإنصاف ، 17 - 18

الصواب ويشير إلى ثنائية الكلمات والغريب في الأمر أننا نجد الأصل الثنائي معمولا به ، " يحكي بعض العرب أنهم يقولون هذا أَبُك ، ورأيت أَبَك ، ومررت بأَبِك .. وقد يحكي بعض العرب أنهم يقولون هذا أباك ورأيت أباك ومررت بأباك " 1 .

وربما الذي أوقعهم في هذا الاضطراب هو قولهم بثلاثية الأصول في كل الجذور العربية وما خالف ذلك أخذوا يتأولونه ويعالجونه كل حسب رأيه ومنطقه العقلي الذي يبتعد في بعض الأحيان عن الواقع اللغوي .

و من الموضوعية أن نذكر أن الأغلب الأعم من الجذور السامية – وليس العربية فحسب – تعود إلى أصل ثلاثي بل إن أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب رأى " أن كل كلمات اللغات السامية تقريبا تنضوي تحت مجموعات يتعلق المعنى الأساسي المشترك فيها بثلاثة أصوات صامتة " 2 . و كذا جعل بروكلمان " الغالبية العظمى من الجذور السامية ذات أصول ثلاثية من السواكن " 3 .

لكن هذا لايمنع كون هذه المجموعة وغيرها من الثنائيات التاريخية التي تطورت فيما بعد بالعلل الطويلة الإعرابية لتظهر كأنها ثلاثية ويبقى من الركام اللغوي ظواهر تؤكد ثنائيتها و إعرابها بالعلل القصيرة مثلها مثل ( يد ) تماما .

و قبل أن نؤكد هذه النتيجة عن طريق المقارنة السامية لابد أن نشير إلى أن هناك فريقا كبيرا من المعاصرين من قصرت رؤيته على آراء القدامى فراح يرددها ويأخذ بها ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه ( النحو التقليدي والنحاة التقليديين ) وجدوا أنفسهم منقادين لأقوال القدماء ، قابلين لها على ما فيها من تداخل وتضارب يستحيل معه السير على طريق واحدة .

---

[1]- الإنصاف ، 14

[2]- المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، رمضان عبد التواب 229

[3] -C. Brockelmann : Precis de linguistique semitique , 14

فمنهم من يرى أن " أب أصلها أبو حذفت الواو للتخفيف ومثلها أخ " 1 . ومنهم من يقول : " ويبدو لنا من استعراض الكلمات التي اعتراها الحذف أنها مما يكثر استعماله نحو ( أب وأخ ... ) وبعضها اعتراه الحذف والتعويض نحو ( أم ) وما يعرف في اللغة بباب سنة كشفة " 2 .

حتى أولئك الذين حاولوا التطوير في الدراسة الصرفية وأرادوا أن يدخلوا برؤية جديدة في الصرف العربي وقعوا في شرك الأصولية الثلاثية فراحوا يرددون " أن الكلمة قد تكون ثلاثية الأصل ثنائية المنطوق ... ومن ثم قرر الصرفيون بحق أن أصول الكلمة العربية ثلاثة ( واقعا أو افتراضا ) " 3 .

بل إن بعضا من المستشرقين بما لهم من باع في الدراسات السامية وقفوا أحيانا حائرين أمام تلك المجموعة من الثنائيات ، فهذا O' Leary يراها " عولجت كثلاثية الأصل ، وربما تكون مماثلة لأشكال ثلاثية ، أو أنها أصلا كانت ثلاثية " 4 .

و هذا رايت W. Wright يقول :" عدد قليل من الكلمات بحثت لها عن حالة نهائية في السريانية دون جدوى : اب ، اح ، حم ، في العربية : أب ، أخ ، حم ، وفي العبرية **אב** ، **אח** ، **חם** ، هذه كلها فقدت الجذر الثالث ( الواو w ) وظهرت في العربية في حالة الإضافة كما يلي : الرفع أبو بدلا من أَبُوُ ، الجر أبي بدلا من أبوِ ، النصب أبا بدلا من أَبَوَ " 5 . و بعد نقاش طويل حول أصل الحرف الثالث فيها انتهى رايت إلى الجملة التالية : " إن حقيقة الحرف الثالث مازالت غير واضحة لي " 6 .

و قد لاحظ هذا الاتجاه التقليدي لدى المعاصرين أستاذنا الدكتور محمد صالح توفيق الذي أشار إلى أن " بعض علماء الساميات قد تبنوا منهج النحاة العرب وخلصوا إلى أن هذه الأسماء ثلاثية الأصل ومن هؤلاء فوجت voiget الذي رأى أن اللغات السامية توحدت في أغلب هذه الكلمات

---

[1]- تيسير الإعلال والإبدال ، عبد العليم إبراهيم 68

[2]- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة 40

[3]- المنهج المنهج الصوتى للبنية العربية رؤية جديدة فى الصرف العربى , عبد الصبور شاهين 52 .

[4] -O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages , 177

[5] -W.Wright: Lectures on the comparative grammar of the Semitic languages , 142

[6] -W.Wright: Lectures , 143

إلى أن الأصل الثالث هو الواو ، كذلك جزينيوس الذي يرى في نحو ( أب و أخ ) أسماء تبدو لأول وهلة أنها ثنائية الأحرف أحادية المقطع ، ولكنها تعد ثلاثية الأحرف برد الحرف المحذوف عند الإضافة" 1 .

و لكن بالنظر في العديد من اللغات السامية يتأكد لمعظم الباحثين أن هذه الكلمات وغيرها تعود إلى أصل ثنائي ، ويؤكد ذلك غالبية المستشرقين ومن أبرزهم بروكلمان وبرجشتراسر 2 .

و يذهب الدكتور محمد صالح توفيق هذا المذهب فيقول " والرأي السامي المقارن محمود لدينا ، لأنه يعالج مشكلة الأسماء الستة حيث يكون الإعراب على الحرف الثاني وهذا يتفق مع تطور الإعراب في السامية الأم ، بدأ بالحركات أولا ثم كان الإعراب بالحروف نتيجة إشباع الحركات ، ثم حدث لهذه الأسماء الستة ، أن انتقلت من الإعراب الثلاثي إلى التزام علامة إعرابية واحدة في بعض اللهجات العربية القديمة ، وهو تطور نجده في العبرية التي لزمت الياء مثلا نحو ( ʾabihā أبوها ) وبقاء الواو في السريانية نحو ( ʾahōkī أخوك ) وهذا يشبه أيضا ما نسمعه في اللهجات العربية المعاصرة من التزام الواو مع الأسماء الستة " 3 .

أما الحبشية فقد احتفظت في الأسماء الثلاثة ( أب – أخ – حم ) باللاحقة الضميرية في حالة الرفع (nom) :

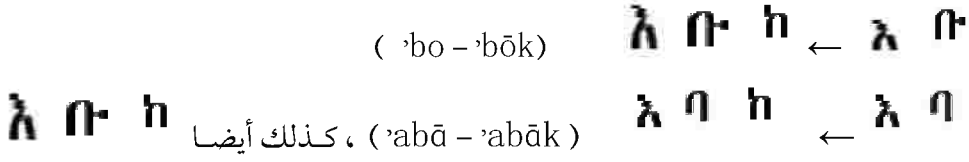


(ʾabāk *أباك*) يستخدم في حالة النصب 4 .

---

[1]- العربية واللغات السامية ، محمد صالح توفيق 34 بتصرف .

[2]- انظر : العربية واللغات السامية ، 34 / محاضرات في العربية واللغات السامية ، محمد صالح توفيق 61 / وانظر : فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان 93 / التطور النحوي للغة العربية 95 -96

[3]- محاضرات في العربية واللغات السامية ، 36 - وانظر: ص 62 / العربية واللغات السامية ، 35 / وانظر : في قواعد الساميات ، رمضان عبد التواب 158

[4] -W.Wright: Lectures , 143

فالعبرية إذا اختارت حالة الجر للكلمات الثلاث אבי ʾabī، אָבִיךָ ʾabīk- بينما اختارت السريانية حالة الرفع ابوك ʾabok وكذلك احوك ʾaḥok، حموك ḥamok 1 . و ذهب أوليري إلى أن " الواو الأخيرة في ( أبو ) قد تكون للتماثل أو ربما تطويل للصائت أدخل كتعويض للجذر الثنائي " 2 .

و رأى بروكلمان في الحركات الطويلة للأسماء الستة علامات للإعراب تعوض ثنائيتها يقول : " وقد احتفظت العربية القديمة بحالات الإعراب الثلاث الرئيسة سالمة غير أن الحركات قصرت ولا تحتفظ بطولها إلا في الوقف والقافية أحيانا ، وقد بقيت طويلة دائما في كلمات القرابة في حالة الإضافة ( أب – أخ – حم ) تلك الكلمات التي يعوض فيها سقوط لام الكلمة بهذا الطول للحركة " 3 .

أما موسكاتي فقد رأى عناصر المد " جزءا مما يتألف منه الجذر ... تكون قصيرة في الجذور الساكنة الثلاثية ... ولكن في الأغلب طويلة في ثنائيات السواكن " [4] . و يشير موسكاتي في موضع آخر إلى أنه " قد بقيت أسماء ثنائية قديمة مثل أب وأخ وشفة ودم ويد وابن واسم وإن عمدت بعض اللغات السامية إلى تثليث هذا الجذر في بعض مشتقاته كما فعلت العربية حين جمعت ( أبا ) على ( آباء – أفعال ) ، و( أخا ) على ( إخوة – فعلة ) ... " [5] . ويشير لندبرج Lindberg إلى مثل هذا الرأي " فاللاحقة ( و ، ي ) تضاف في كل اللغات السامية إلى ( أب ) " 6 .

---

[1] -W.Wright: Lectures , 143

= / وانظر :

= W.Gesenius: Hebrew and English lexicon 1079

وانظر : فقه اللغات السامية ، كارل بروكلمان ، 101 / غرامطيق اللغة الآرامية السريانية 115 – 116 / دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال 117 – وانظر أيضا ص 546

[2] -O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages , 177

[3]- فقه اللغات السامية ، 100

[4]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، سباتينو موسكاتي و آخرون 124 - 125

[5]- الحضارات السامية القديمة ، سباتينو موسكاتي ، 241

[6]- O. E. Lindberg: Vergleichende grammatik , 1 .P 116

ويشير صاحب اللمعة الشهية إلى أن مثل هذه الكلمات في حالة الافراد في السريانية " يتميز عن غيرها بأن كلا منها لا يظهر فيه إلا حرفان أصليان بحركة على ثانيهما وذلك أن : ܐܒ و ܐܚ و ܐܝܕ { آبا ، آحا/إيدا } إنما حرك أول حرف فيها لتسهيل اللفظ ، لأنه غير ممكن لفظ الألف و اليوذ في أول الكلمة ساكنين " 1 .

ووزن هذه الكلمات في السريانية ( فع ) فهي تلحق بالمعتل اللام المحذوف منه " فينتقل إلى وزن ܦܥܐ fa'ā نحو ابن ܒܪܐ brā... ويلحق بها ܐܒ abā أب ، ܐܚ aḥā أخ ...2).

و تشير لغات النقوش السامية الشمالية أو الجنوبية إلى ثنائية أب وأخ ، فلفظة ( أب ) – اسم مفرد مذكر – عرف بهذه الصيغة في النقوش الفينيقية ، والقتبانية ، والمعينية ، والسبئية ، والمندعية ، بينما ورد بصيغة ( أ ب و ) في النقوش الأشورية والأكادية ، وبصيغة ( ܐܒ ) في السريانية 3 . و كذلك لفظة ( أخ ) في النقوش : اسم مفرد مذكر أوهو اسم سامي مشترك جاء في العديد من النقوش السامية الأخرى مثل الأوجاريتية والفينيقية والآرامية الدولية والحضرية واللحيانية ، بينما جاء بصيغة ( أ خ و ، أ خ ي ) في النقوش السبئية والقتبانية والمعينية ، وبصيغته ( أ خ ا ) في المندعية ، وبصيغة אח في العهد القديم و الترجوم وفي السريانية بصيغة ܐܚܐ ، وبصيغة `ehew في الحبشية الكلاسيكية ، أما في الأشورية فقد عرف بصيغة `hhutu 4 .

و في النقوش الجنوبية نجد ( أب ) ، في المعجم السبئي : `b ويجمع بالواو (`bw ) أو بالهاء ( `bh )[5] . و ( أخ ) : `h - `hy أحيانا باليا وأحيانا بدونها ، ويؤنث بالتاء `ht

[1]- اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، إقليميس يوسف داود الموصلي 86
[2]- غرامطيق اللغة الآرامية السريانية ( صرف ونحو ) ، القس بولس الكفرنيس 30
[3]- انظر : المعجم النبطي ، سليمان بن عبد الرحمن الذييب 1 - 2
[4]- انظر : المعجم النبطي 6 - 9
[5] - A.F.L Beeston , M.A.Chul, W.W.Mulle : Sabaic dictionary .P 1

ويجمع بالياء hy` [1] . وصيغة الجمع في ( أخ ) المنتهية بالياء هي السائدة في السبئية الفصحى : ahy ( إخوة ) [2] . لذا نجد الجمع السالم فيها على الشكل .. اخي ( أ خ ي ) مضافا ( إخوة ) [3] .

و لم ترد ( أخوة ) بالواو في النقوش اليمنية مضافة إلى الضمير بل إن " زيادة الياء توجد أحيانا حتى في المفرد المضاف إلى ضمير في كلمتي : بنيهو ( ب ن ي هـ و ) اخيهو ( أ خ ي هـ و ) و لم يشاهد أبدا بنوهو ( ب ن و هـ و ) للمفرد و لا ( أ خ و هـ و ) للمفرد [4] .

و معلوم لدى خبراء النقوش الجزيرية القديمة عدم تسجيل أصوات العلل الطويلة ( واي ) في تلك النقوش فهي أبجديات السواكن فقط ، وتشير تلك النقوش إلى أن ( أب وأخ ) من جذرين ساكنين ومنها النقوش التمودية في سكاكا بالجزيرة العربية في الفترة التمودية المتوسطة ( القرنين الثالث والثاني ق . م ) والفترة التمودية المتأخرة ( القرن الأول ق . م وحتى الثالث الميلادي ) ومن تلك النقوش النقوش :

و ت ت و ق إل أخ هـ

وقراءته : و اشتاق إلى أخيه [5] .

و منها أيضا : [6] :

ل ب ك ر ب ن ح ب ب و وج م ع ل ا ب هـ

وقراءته : بواسطة بكر بن حباب ، وحزن ( وجم ) على أبيه .

و في ( أخ ) يستدل د.إسماعيل أحمد عمايرة على ثنائيتها في " تأنيثها بالتاء ( أخت ) مثل ( ابن ) ... ، وحتى لا يناقض القدماء أنفسهم رفضوا أن تكون تاء التأنيث مسبوقة بساكن !! .وقد ضمت في

---

[1] - A.F.L Beeston , . P 4

[2]- انظر : قواعد النقوش العربية الجنوبية ، كتابات المسند ، ألفريد بيستون 50

[3]- مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، محمد عبد القادر با فقيه وآخرون 78

[4]- مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، 77 - 78

[5]- نقوش تمودية من سكاكا دراسة تحليلية ، سليمان بن عبد الرحمن الذييب 92

[6]- انظر : نقوش تمودية من سكاكا دراسة تحليلية ، 26

العربية عند التأنيث ( أُخت ) ، أما في العبرية فظلت مفتوحة ، وقد كسرت في الحبشية فهي eht ، على غرار ( بنت ) وقد عرفت اللهجات العربية الحديثة الحالات الثلاث الضم والفتح والكسر " [1] .

و قد قال القدماء في التاء أنها تعويض عن الواو في ( أخو ) ويتساءل د. إسماعيل عمايرة " فلماذا لم يعوض عن الواو في نحو : ( ابن وهن ) ، فالوجه إذن أن هذه التاء للتأنيث ، بيد أن عدم توالي السواكن لم يستدع الإتيان بالفتحة التي استقدمت للتخلص من السواكن [2] .

و تشير المعاجم السامية المختلفة إلى ثنائية ( أب وأخ ) حتى في التركيب ؛ ففي الساميات الشمالية يظهر ( أب ) في التركيب ثنائيا في الكلدانية ، ففيها : أبو الأب – جد : ܐܒܐ ܕܐܒܐ (*ابا بابا*) ، و أبو الآباء ، بطريرك : ܐܒ ܕܒܗܬܐ (*ابا بهاتا*) [3] . كما اتفقت على ذلك في غير التركيب ففي السريانية أب ܐܒܐ ʾabbā ، أخ ܐܚܐ أو ʾaḥḥā [4] .

و في بقية اللغات السامية سنجد ( أب وأخ ) من الكلمات الثنائية بالفعل :

ففي العبرية : אח ʾaḥ و אב ʾāḇ – وفي الآرامية ʾaba و: ʾaḥ אח – وفي الحبشية ʾab و ʾehw – وفي الأشورية ʾabu أ ʾaḫu – وفي الأكادية

---

[1]- انظر : ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية إسماعيل أحمد عمايرة 48 بتصرف / وانظر أيضا مناقشة تلك القضية : المصطلح الصرفي ، مميزات التذكير والتأنيث ، عصام نور الدين 206 - 207

[2]- ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية 48

[3]- انظر قاموس كلداني عربي ، المطران يعقوب أوجين منا ، باب الألف ص 1

[4]- انظر في ذلك:
- L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 1, 5
- O. E. Lindberg: , 1,40 , 111
- W.Gesenius: , 3
- C. Brockelmann: Syrische Grammatik, 57

و انظر أيضا :
- ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية 17 / البراهين الحسية ، 49 / مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن 73 ، 143 / التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية 35 / المعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن ، 219 / ملتقى اللغتين العبرية والعربية ، 90/2 - معجم مفردات المشترك السامي 33،49

ʾabum/ʾahum – وفي العربية الجنوبية ʾabʃ/aḫ – وفي الأوغاريتية ʾaḫ – وفي الفينيقية אח وאב [1] . ʾab – ʾaḥ .

– وفي الآرامية الغربية westaram : אחא ʾaḥa – وفي السامرية sam : אח و אב ( اب – اح) – وفي المندعية : אבא و אחא [2] . (ابا– احا ) .

و إذا اتجهنا إلى المعاجم العبرية يؤكد " معجم داود بن إبراهيم الفاسي لاحقة الياء في אבי ( أبي ) ، אביך ʾabīk أبوك " [3] . و في مادة (אב) يشير ابن بارون إلى أنها تشبه الكلمة العربية ( أب ) ويضيف أن الكلمة في العبرية يضاف إليها ياء في حالة الإضافة مثل אבי ، אביך [4] . ʾabīk – ʾaby ʃ والكلمتان في النصوص العبرية المقدسة من الكلمات التي ورد ذكرها في التوراة أكثر من سبعين مرة بتلك الصيغ المشار إليها אב ، אבי ، אביך [5] .

و تؤكد النصوص السامية الشمالية المقدسة هذه الحقائق حيث نجد " في الفقرة 195 من قانون حمورابي : summa maru abasu imtahs بمعنى ( إذا ضرب ابن إباه ) " نجد كلمة : (abasu) بمعنى ( أباه ) وهي في حالة المفعولية منصوبة بالألف،لأنها من الأسماء الخمسة تماما كما في العربية " [6].

و في سفر التكوين الاصحاح الثاني : 24 :

יַעֲזָב אִישׁ אֶת־אָבִיו וְאֶת־אִמּוֹ

وترجمته ( يترك الرجل أباه وأمه ) [7] . وهي ملتزمة باللاحقة الياء كما ذكرنا .

وقراءته : ya‘zāb ʾīš ʾet–ʾābīn w’et–ʾemmó

---

[1] -W.Gesenius:, 3 – 26

وانظر : مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 73 – 74 / معجم مفردات المشترك 33 , 42 - ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية 17

[2] -O. E. Lindberg: Vergleichende grammatik , 1- 40 – 111

[3]- المعاجم العبرية دراسة مقارنة ، سلوى ناظم 96

[4]- المعاجم العبرية ، 181 - 182

[5]- انظر :دروس في اللغة العبرية القديمة من خلال نصوص التوراه ، سلوى غريسة 195

[6]- فصول في فقه العربية ، رمضان عبد التواب 383

[7]- انظر : قواعد اللغة العبرية ، عوني عبد الرءوف 294

و في آرامية العهد القديم ، سفر دانيال 5 : 18 :

יְהַב לִנְבֻכַזְנֶצַּר אֲבוּךְ ( وهب لنبوخذ نصر أباك )[1] .

وقراءته : : yāhab lenbóḫazneśśar ’ bōk . و الغريب في هذا النص أن الكلمة جاءت باللاحقة الواو ! الأمر الذي يدل على أن ارتباط العلل الطويلة بنهايات هذه الأسماء متداخل بين الساميات واحتفظت بصوره كاملة العربية الفصحى .

وقد أكدت النصوص السابقة تنوع اللواحق الثلاثة ( الألف والواو والياء ) في نهايات الأسماء الخمسة ، في العبرية الياء ووجدنا الواو أيضا ، وفي الحبشية الواو ، وفي البابلية ( نصوص حمورابي ) وجدنا لاحقة بالألف [2].

كما ورد أيضا جمع الصيغة جمعا سالما على ثنائيتها ( أبون وأبين ) وبها قرئ : ﴿ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ ( سورة البقرة 2 / 133 ) يقصد الجمع مع حذف النون للإضافة [3] . وجاء في المحتسب لابن جني : " وطريق ذلك أن يكون ( أبيك ) جمع أب على الصحة ، على قولك للجماعة هؤلاء أبون أحرار ، أي : آباء أحرار ، وقد اتسع ذلك عنهم ، ومن أبيات الكتاب : ( متقارب )

فَلَمَّا تبَيَّنَّ أَصْوَاتَنا بَكَيْنَ وفَدَّيْنَنَا بِالْأَبِيْنَا "[4].

و قد احتفظت العربية الفصحى بجميع الصور الأمر الذي يؤكد أصالة اللغة العربية وأن من استشهد بها على غيرها كان على صواب وذلك يشير إلى أنها اللغة السامية الأم بلا جدال .

---

[1]- آرامية العهد القديم قواعد ونصوص ، يوسف متى فوزي وآخرون 141

[2]- وفي اللهجات العامية المعاصرة نفس ماحدث في الساميات والتي تعد عند كثيرين مجرد لهجات للسامية الأم ( العربية ) ففيها لزمت ( أب – أخ ) الواو : أبوك طيب – شفت أبوك – سلمت على أخوك ، ولزمت ( حم ) الألف : حماك طيب – شفت حماك – سلمت على حماك. وفي اللهجات العربية القديمة أيضا وجدنا هذا التنوع في التزام نهاياتها ، فقد وردت عنهم الصورة الثنائية ( هذا أبك ، ورأيت أبك ، وسلمت على أبك ) ، وورد في لهجات أخرى ( إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها ) .

[3]- انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف 14 – 15 / شرح الفصيح ، للزمخشري 278

4 - المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني1/ 112

حتى إذا نظرنا إلى مجموعة اللغات الحامية السامية وجدناها تشير إلى ثنائية ( أب وأخ ) ، ففي اللغة المصرية القديمة ( ab ) = أب ، و abut = جد [1]. والطريف في الأمر أن يجعلها لويس عوض أساسا لكل اللغات ، فيقول " و أثرت (با ) المصرية في أب وآب العربية والسامية بل في كل ما يتصل بالوالد في كل اللغات كافة " [2] . و كان بعض الباحثين المعاصرين ذهب إلى أكبر من ذلك فجعل اللغة المصرية القديمة أيضا أم اللغات العروبية ( السامية ) وهي أساس مثل تلك الألفاظ [3] .

و إذا خرجنا خارج المجموعة السامية سنجد أيضا في المجموعة القوقازية والهندأوربية أن ( أب – أخ ) ليسا من الجذور الثلاثية : ففي لغة الباسك أب : ( jaBe : السيد ) أ و في القوطية ( aba ) .

و في اليونانية papos < pappas < papas < papa

و في اللاتينية avus ( جد ) [4] .

مع ملاحظة بعض الصيغ المضاعفة صوتيا لا جذريا ، وملاحظة أن بعض الصيغ تطورت عن طريق تضعيف الجذر أو تغير الصوت الشفوي ( b ) إلى شفوي آخر ( w ) في القوطية ( awo ) ، والفاء في الأيسلندية ( afi ) أو الشفوي المهموس ( p ) في بقية اللغات المذكورة [5] .

و أشار إلى مثل ذلك لويس عوض في كتابه – الذي تمت مصادرته – ( مقدمة في فقه اللغة العربية ) يقول " والعنصر الأساسي في الكلمة الهندية الأوربية الدالة على ( أب ) هو پا pa [ ( فا ) fa في اتجاه و ( با ) ba في اتجاه آخر أ و هو أساس الكلمة في العربية والساميات عامة " [6] .

و كنا قد أشرنا إلى أن بروكلمان قد نسب هذه الطائفة من الكلمات إلى لغة الأطفال و الطفل عادة ما يلفظ بالأصوات الشفوية مبكرا نتيجة استخدام الشفتين باستمرار في الرضاعة ؛ الأمر الذي

---

[1] -E.A.Wallis: An Egyptian Hieroo-lyphic dictionary , 4-5

[2]- مقدمة في فقه اللغة العربية ، لويس عوض 16

[3]- انظر : هل في القرآن أعجمي ؟ علي فهيم خشيم 27

[4] -E. Drake : Discoveries, 38

[5] :-E. Drake : , 38 انظر

[6]- مقدمة في فقه اللغة العربية ، لويس عوض 318

يسهل عليه البدء بنطق أصوات b ، w ، m مبكرا ، والباء هو الجذر الأساسي في كلمة ( أب ) الأمر الذي يشير إلى أنها من المحتمل أن تكون بدأت أحادية الجذر يدل على ذلك أنه " يلاحظ فيما يعرف بلغة الطفولة في مختلف اللغات " [1] .

و قبل أن نختم هذا المبحث نود أن نشير إلى ما يخص تللك الصيغ الفعلية التي وضعها شراح الفصيح من ( أب وأخ ) في مثل أبوته وآخيته وأبيت وأخيت ، وأبُوت وأخُوت ، وأبُوْت وأخُوْت ، ليستدلوا على عودة الحرف المحذوف – كما زعموا – إلى الفعل ، ناسين أن هذه الأفعال هي من اختراعهم ؛ لأن الاسم الجامد سبق الفعل بالتأكيد .

وهذا هو ما ذهب إليه برجشتراسر : " فكل الأسماء المذكورة وما شاكلها في سائر اللغات السامية أصلية غير مشتقة من الأفعال ، كما زعم النحويون واللغويون القدماء ، الحقيقة غير ذلك فالأفعال منها إذا وجدت مشتقة من الأسماء " [2] .

و إلى ذلك ذهب د.عمر صابر عبدالجليل فالفعل من ( أخ ) ورد كثيرا في اللغات السامية ولغة النقوش مشتقا من الاسم " أخا / آخي / أخي / تآخي : اتخذ أخا ، تصادق . و في الأكدية : aḫū: تآخى – آخى وهو فعل مشتق من الاسم aḫu : أخ ، و في العربية الجنوبية : اخو : ( ا خ و ) آخى ، حالف أحدا ، تاخون ( ت ا خ و ن ) : تآخى – تحالف مع ، وفي الحبشية ተኣኀወ : تآخى " (ta’ ahawa) . [3]

و لم نقل بخطأ ابن درستويه والشراح في وضع أفعال ثلاثية من صيغ ثنائية فهو عرف لغوي يجب أن يسير على النظام الغالب في اللغة الفصحى ثلاثية الجذور ، كذلك لم نقل بخطئهم في تثليث ( أب – أخ ) بالعلل الطويلة ( واي ) في الاعراب رفعا ونصب وجرا ؛ فما تلك العلل إلا امتدادا للعلل

[1]- هل في القرآن أعجمي ؟ 27
[2]- التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر 97 - 98
[3]- المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات السامية ، عمر صابر عبد الجليل 28

القصيرة ، والضمة والفتحة والكسرة تحولت تاريخيا إلى علل طويلة ، هـذا التحـول يتسـق مـع النظـام الثلاثي في اللغة فبدا كأنه طبيعي ، ولكنه لم يكن أبدا أصيلا .

***

**ثانيا : ( أمم ) :**

يرفض ابن درستويه أن تكون كلمة ( أم ) ثنائية بل ويرفضها ثلاثية كما رآها بعض القـدماء في الجذر ( أم م ) ، ويدخل في نقاش طويل حول أصل ( أم ) ، والذي أراد أن يؤكده في هذا النقاش أن ( أم ) ثلاثية الجذر من الهمزة والميم والهاء ( أ م هـ ) ، ويستند في هذا الرأي عـلى أقـوال للخليـل مـرة وعـلى نقاشات صرفية مرة أخرى ، وجدليات عقلية مرة ثالثة ، وهو يعتبر المصدر من أم وهو ( الأمومة ) شاذا ، ويأخذ على ثعلب وضعه ( الأمومة ) في المصـادر عـلى وزن ( الفعولـة ) ، ويـرد في كـلام طويـل عـلى النحويين الذين قالوا بزيادة الهاء في ( أمهات ) فهو يراها أصيلة .

يقول ابن درستويه : " زعم بعض النحويين أن الهـاء في أمهـات زائـدة ، وأن الأصـل أمـات ، ويجب عليه أن يزعم أن ( الأمهات ) : فُعْلهات ، والواحدة : فُعْلهة ، وهذا بناء ليس له في كلام العـرب نظير ، ولا يجوز أيضا أن تكون أمّهة فُعلهة ، لأن أمّهة ثانيها مضعف وفعلهة ليس ثانيها مضـعفا ، فـإن ضُعِّف عين فعلهة صارت على وزن ( فُعّهة ) وهذا أقبح من الأول لأنه ليس في كلام العرب هـذا المثـال مع ثقله ، فجعل الأمات التي لا يتكلم بها أحـد مـن الفصـحاء ولا توجـد في القـرآن ولا في الشـعر إلا ضرورة هي الأصل ، وجعل الأمهات التي أطبقت العـرب عـلى الكـلام بهـا ، ولم يجـيء في القـرآن إلا كذلك شاذا ورديئا " [1] .

ويرد على ثعلب في المصدر ( الأمومة ) " فأما الأمومة في مصدر الأم فمخالفـة للقيـاس شـاذة عن نظائرها لأن الأم تقديرها : أُمّهة ، على وزن فعلة بتشديد العين ولكن قد حذفت منها الهاء الأصـلية التي هي لام الفعل والدليل على ذلك أن جمعها الأمهات ، كما قال عز وجل ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾

[1]- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه , 202 - 203

[ سورة النساء4 / 23 ] ، وقال تعالى﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ ﴾[ سورة النساء4 / 23] فكان يجب أن ترد الهاء المحذوفة منها في مصدرها كما ترد في جمعها ، فيقال في الفعولة منها : أموهة... أما الأمومة فإنها هو شاذ ، أخرج على لفظ الأم ، وليست الميم الثانية منها بلام الفعل ، وإنما اللام منها الهاء المحذوفة ، و الميمان عين الفعل قد كررت " 1 .

وفي موضع آخر يشير إلى أن المصدر ( الأمومة ) لا يأتي إلا للضرورة يسمع ولا يقاس عليه " وانما يستعمل ويجوز مثلها في ضرورات الشعر كما قال الشاعر : ( متقارب )

**إذا الأُمَّهاتُ كَسَفْنَ الوُجُوه فَرَجتَ الظلامَ بأُمَاتِكا**

فجاء في الأولى على القياس والصحّة ، وأتى في الثانية على لفظ الأم دون المعنى للضرورة إلى الوزن والقافية ... وإنما المصدر الصحيح في الأم على الفُعُولة منها ( الأُمُوهة ) لأن الكلام لا ضرورة فيه ، ولأن القياس أولى من الشذوذ ، وكان يجب على ثعلب إذا حكي المسموع الشاذ أن يبين الصواب المقيس ولا يختار إلا الأجود"2.

ويعتبر ابن درستويه تضعيف الميم في ( الأم ) لغة ضعيفة غير فصيحة ، تعتمد اللفظ دون المعنى وهذا هو سر خطأ ثعلب في رأيه " فلم يدر أن الفعولة يجب أن تكون لامها لام الفعل وأتى بعين الفعل المكررة في موضع اللام لما وجدها في الأم في موضع اللام في الواحد وفي قول من جعل الأم على اللفظ دون المعنى ، وهي لغة ضعيفة غير فصيحة كأنها مشتقة في المعنى بما أخذ في الإمامة والإمام " 3 .

ويرفض ابن درستويه آراء القائلين بزيادة الهاء في ( أمّهة ) " ووزن أمهة عند هؤلاء فُعلهة ، والأمهات فُعْلهات وهو مثال لم يجئ عليه شيء من كلام العرب ، ولم يذكرالخليل ولا سيبويه ولا أحد من مقدَّمي أصحابهما هذا البناء في أبنية الأسماء ، ولا ذكروا أن الهاء تزاد إلا في موضعين أحدهما بعد ألف الندبة

[1]- تصحيح الفصيح و شرحه ، 201 - 202
[2]- تصحيح الفصيح و شرحه , 202
[3]- تصحيح الفصيح و شرحه , 202

والآخر لبيان الحركة في مثل قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴾ (القارعة :101/ 10 ) وفي مثل ارمِهْ وعِهْ " 1 .

والظاهر أن ابن درستويه قرر أنّ الهاء أصل موافقا للخليل لأنه رآها في الفعل الذي ظن أن منه أخذت ( الأم ) وهو مارفضه الباحث ؛ فالاسم الجامد ( أم ) قد سبق الفعل في الساميات ، يقول ابن درستويه: " قد تأمّه الرجل أُمّا إذا اتخذ لنفسه أما وتصريف الأم وتفسيرها في كل معانيها : أمِه يأمَه أمَهًا ، في كتب المؤلفات الصحاح لأن تأسيسها من حرفين صحيحين وهمزة والهاء فيها أصلية ولكن العرب حذفت تلك الهاء إذ أمنوا اللبس"2.

ويوضح ابن درستويه حجّة أخرى لمن قال بزيادة الهاء وهي " لإلحاق الأم التي هي عنده ثلاثية بالرباعي فإنه يجب أن يصرف الأمهة تصريف الملحقات بالرباعي ... فمن زعم أن أمهة هاؤها ملحقة وجب عليه أن يقول في فعلها ( أمّه يؤمّه أَمّهة ) ولا يصرفها محذوفة ، ... لئلا يلتبس الملحق بغير الملحق ولا الرباعي بالثلاثي ، وهذا من أقوى الأدلة على أن من صرف الأم على الحذف إنما صرفها غلطا على اللفظ وترك المعنى " 3 .

و حجة أخرى لمن قال بزيادة الهاء في أمهة " أنه زعم أن الهاء في هِجرع زائدة لأن الجرع مستعمل والهاء في هِبلع زائدة لأن البلع مستعمل ، وأن الهاء في هِركولة زائدة ، لأن الركل مستعمل فصير في الكلام أمثلة لا يعرفها الحذاق من النحويين وهي ( هِفعل وهِفعَولة وفعلهة ) ولولا أن هذا شيء مسطر في الكتب مدون عندهم لكان حكمه أن يهزأ من قائله ، ولا يحكي ولا يحتج عليه " 4 .

---

[1]- تصحيح الفصيح و شرحه , 203

[2]- تصحيح الفصيح و شرحه , 203

[3]- تصحيح الفصيح و شرحه , 203

[4]- تصحيح الفصيح و شرحه , 206

واستدل ابن درستويه – في مقابل ذلك – بما فيه الهاء – في رأيه – أصلية " وإنما الأمهات بمنزلة الأبهات والأبهة : الكبر وبمنزلة الترهات وهي الأباطيل واحدتها ترهة ومثل فوّهة الطريق ... وليست الهاء في الأبهة والترهة والفوهة بزائدة عند أحد من النحويين ولا اللغويين " 1 .

كذلك استدل بكلمات أخرى في العربية مثل : " الحُلّب وهو نبت ، والخُلّب وهو البرق الكاذب والعُلّف وهو ثمرة الطلح والسلم وهو معروف " 2 . واستدل بأصالة الهاء بأصالتها في نظائرها أيضا مثل " العُلّفة ، الحُمّرة "3.

وأشار إلى ( أمّهة ) أيضا الزمخشري في شرحه [4] . لكنه لم يرفضه ولم يقره ، وكذلك ابن هشام اللخمي : " ويقال للأمّ أمّهة أيضا ، قال الشاعر : ( **أُمَّهَتِي خِنْدَفٌ والياسُ أَبِي** ) ، ويقال أيضا في الأم : إم بكسر الهمزة "5.

وكان مما استدل به ابن درستويه على أصالة الهاء في ( أمهة ) التصغير ، مستدلا بقول الخليل حيث قال : " ويقول بعضهم في تصغير أم : أميمهة ، وبعض يصغرها : أميمة على لفظها ، وهم الذين يقولون أُمّات في الجمع " 6.

وبذلك يكون جملة ما استدل به ابن درستويه على أصالة الصيغة ( أُمّهة ) وعدم زيادة الهاء فيها ما يلي :

**1-** الجمع ( أمّهات ) .

**2-** تصريف الفعل ( أمِه ، أمَّه ).

**3-** الحمل على النظائر : الأبّهة والتُرّهة والحُمّرة .

---

[1]- تصحيح الفصيح و شرحه ، 203 - 204
[2]- تصحيح الفصيح و شرحه , 206
[3]- تصحيح الفصيح و شرحه , 207
[4]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 280
[5]- شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 169 - 170
[6]- تصحيح الفصيح و شرحه , 203

**4-** التصغير ( أميمهة ) الذي يرد الأشياء إلى أصولها .

وكان بعض القدماء يرون " الأمّهة لغة في الأم ، قال أبوبكر : الهاء في أمّهة أصلية وهي فُعّلة بمنزلة تُرّهة وأُبّهة .وخص بعضهم بالأمهة من يعقل وبالأم من لا يعقل ... والقرآن العزيز نزل بأمهات وهو أوضح دليل على أن الواحدة أمهة . قال ابن سيدة : وهذا يقوي كون الهاء أصلا لأن تأمهت تفعّلت بمنزلة تفوّهت وتنبّهت " 1 .

ومثلما رأى بعضهم الهاء أصلية رآها آخرون زائدة كزيادتها في الفعل أهراق [2] . والجمهور على ( أم م ) أصولا لكلمة ( الأم ) " وتدور مادة ( أم م ) في اللسان العربي حول أربعة معان : وهي الأصل والمرجع والجماعة والدين " 3 .

***

ولو تتبعنا ( أم ) في **الدراسات المقارنة** سنجده – تاريخيا – بدأ بالميم فقط متبوعا بالحركة القصيرة أو الطويلة تعبيرا عن وحدة المقطع المفتوح فالعنصر الأساسي إذن كما يشير لويس عوض " هو ( ما) وهو مشترك بين العربية وبقية الساميات والمصرية القديمة والمجموعة الهندية الأوروبية " 4 .

وكان Drake قد أشار إلى ذلك عندما عرض للجذر في عدد من اللغات الهندأوربية والسامية وغيرها: " في العبرية em ، في الباسك ama ، في القوطية Mathair ، في الأنجلوساكسونية Modor ، في اللاتينية Mater ، وفي السنسكريتية Matre ، ولا أستطيع اكتشاف أصل ( thair ) في القوطية أو ( dor ) في الأنجلوساكسونية " 5 . و ونجده في المصرية القديمة ( من الحاميات ) mu-t 6 .

---

[1]- لسان العرب / أمه

[2]- أبنية الأسماء والأفعال والمصادر ، ابن القطاع الصقلي , 104

[3]- من أسرار اللغة في الكتاب والسنة ، محمود محمد طناحي , 97

[4]- مقدمة في فقه اللغة العربية ، لويس عوض , 319

[5] -E. Drake : Discoveries 55 - 56

[6] -E.A.Wallis: An Egyptian Hieroo-lyphic dictionary , 294 انظر :

ويشير Drake إلى أن " اللفظة الإنجليزية mama جاءت عن طريق التضعيف reduplication"[1] .

ولاحظ ذلك جرجي زيدان في قوله : " ومن الغريب اتفاق وجود اسم الوالدة في سائر لغات البشر بلفظ واحد تقريبا والمقطع الأصلي فيه الميم " [2] .

وهو نطق طفولي بدائي للفظة مع الحرف الشفوي ( م ) تطور تدريجيا إلى الجذر الثنائي ( أم ) فسكنت الميم في بعض اللغات لتصير مقطعا واحدا مغلقا ( أمْ ) ( ص ح ص ) وتحركت في لغات أخرى لتتكون من مقطعين قصيرين مفتوحين ( أُمُ ) ( ص ح ) + ص ح ، أو ( أُمُو ) ص ح + ص ح ح ، وتوالى مقطعين مفتوحين في الحالة الثانية ربما لا تستسيغه بعض الألسنة العربية فيتم نبر المقطع الأول مع المقطع الثاني لينتج صوتا مضعفا يغلق المقطع الأول بالصامت الميم : ( أُمٌّ ) ص ح ص + ص ح .

وفي هذه الحالة المنبورة لا تحتاج اللغة العربية بطبيعة الحال إلى تطويل الحركة القصيرة في المقطع الثاني ، بينما ظهرت في لغات أخرى كالأكدية ( ummu ، ) أما الصائت الأول في المقطع الأول فيختلف باختلاف اللغات ما بين الفتح أو الضم أو الكسر وهذا الاختلاف والتغيير كما يشير بروكلمان يحدث بتأثير الحروف الشفوية في كل اللغات السامية 3 .

- فقد نجدها ( 0 – ’u – umm ، ) في الأكدية والأشورية والعربية وكذلك العربية الجنوبية وبعض لهجات الحبشة .
- وقد نجدها ( ’e ) كما في العبرية والفينيقية والآرامية אם ( ’em ) .
- وفي الحبشية أيضا ( ’em ) .
- وفي السريانية ( ’emma ) .

[1] -E. Drake : 55

[2]- الألفاظ العربية و الفلسفة اللغوية ، جرجي زيدان , 31

[3] -C. Brockelmann : Precis de linguistique semitique , 99

- وفي بعض اللهجات العربية وكذلك بعض القراءات القرآنية ( إم ) [1] .
- وقد نجدها بالفتح ( amma ) في الأشورية [2] .

والذي يدل على صدق ما ذهبنا إليه في نبر المقطع المؤدي إلى التضعيف أن التشديد يتأكد ظهوره في حالة الحاجة إلى تحريك المقطع في حالة الوصل لا الوقف كما في حالة الإضافة الأمر الذي دعا أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب إلى أن يذهب إلى أن تشديد الميم أصيل " بدليل ظهوره عند الإضافة مرة أخرى " [3] ، وهو ما نوافق عليه بشرط أن نعده أصلا في مرحلة التثليث لا في مرحلة النشأة!! .

وتؤكد النقوش الجذرية المختلفة ثنائية الجذر ( أم ) فهو معروف بالصيغة نفسها في الصفوية ، واللحيانية وجاءت بصيغة ( أم م ) في السبئية [4] .

ومن النقوش النبطية نجد العبارة التالية في أحدها :

د ي ب ن و ق ب ر و أ م ك ع ب و وقراءتها : الذين بنوا قبر أم كعب [5].

ومع ضمير الغائب نقرأ جزءا لنقش نبطي :

... ل ن ف س هـ و ي ل د هـ و ح ب و ا م هـ

– وقراءته : ... لنفسه ولأولاده وأمه ح ب و [6] .

وهذا ما يشير إليه خبير النقوش الجزرية دكتور سليمان بن عبد الرحمن الذييب أن لفظة ( أم ) " قد جاءت في النقوش السامية الأخرى مثل الأوجاريتية والفينيقية والتدمرية واللحيانية بينما عرفت بصيغة ( أم م ) في السبئية وبصيغة אם ( em’) في العهد القديم ، وبصيغة أُمَّا ( ʾommā) في السريانية ، وبصيغة

---

[1]- انظر: - جمهرة اللغة لابن دريد 1 / 60 ، التطور النحوي للغة العربية ، 55 - تاريخ اللغات السامية ، 283- ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية ، 17- معجم مفردات المشترك السامي ، 59 - ملتقى اللغتين العبرية والعربية 2/ 10- البراهين الحسية 76 ، وانظر : - W.Gesenius: 51

[2]- المعجم النبطي دراسة مقارنة للمفردات والألفاظ النبطية ، سليمان بن عبد الرحمن الذييب ,23

[3]- في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، رمضان عبد التواب , 158

[4]- نقوش الحجر النبطية ، سليمان بن عبد الرحمن الذييب , 81

[5]- نقوش الحجر النبطية ، 169

[6]- نقوش الحجر النبطية ، 172

( emm') في الحبشية الكلاسيكية وبصيغة (ا م ا ) في النقوش الحضرية واللهجة الآرامية الفلسطينية وبصيغة amma، في الأشورية " [1] .

واللافت للنظر في لغات النقوش السامية أننا لم نجد مطلقا اللفظ ( أمهة ) الذي أشار إليه ابن درستويه من قبل ! . وفيما يخص الجمع ( أمهات ) ومفرده ( أمهة ) عند ابن درستويه سنجد أن الهاء زائدة وليست أصلية ، حتى لو كان الخليل قد سمع ( أمّهة ) من بعض الأعراب وعليها بني قاعدته التي أخذ بها ابن درستويه مستشهدا بالجمع ( أمهات ) في القرآن الكريم ، ومتجاهلا في الوقت ذاته أن المفرد ( أمّ ) قد ورد أيضا في القرآن الكريم ، دون ( أمهة ) ! .

ومما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى :

- ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القصص 28/ 13 )] .

- وقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِير ﴾ (لقمان31/ 14 ) } .

- وقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ﴾ (الأحقاف 46/ 15 ) .

- ويوافقه ما جاء في الحديث الشريف : **" عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أبوك "** [2] .

فالهاء - في الجمع المنتشر بكثرة في الفصحى وخاصة لمن يعقل ، ونكاد لا نراه في المفرد - هاء زائدة جاءت لسبب ما قد يكون ( تفخيم اللفظ أو تكثيره أو تعظيمه ) خصوصا إذا علمنا أن الصيغ الثنائية ( اسم وحم وأب وأم وشفة ) قد وجدنا لها جموعا بالهاء في اللغات السامية .

---

[1]- المعجم النبطي دراسة مقارنة 23

[2] - رياض الصالحين , الإمام النووي الدمشقي ص 133

فكلمة ( أب )أبًا تجمع في السريانية جمعين كلاهما بالهاء ( أب جسدي ) يجمع على أَبُوا (bāha' ) ، و( أب روحي ) يجمع على أَبَوُتُا abbahuta [1] ويصف ذلك علماء السريان بالخروج عن القواعد في الجمع (1 ) . وربطها الدكتور رمضان عبد التواب بالجمع ( أبهات ) في العامية العربية 2 .

وربطها ليندبرج Lindberg بقانون المخالفة من الواو إلى الهاء حيث تجمع ( أب – أمة – اسم – وغيرها ) عن طريق حدوث " حالة مخالفة في بعض أشكال الجمع ، انتقال غريب من الواو إلى الهاء ، في بعض الكلمات الآرامية والعربية والعبرية : أبَهَات : في السريانية أَبَوُتُا، أَبُوا (bāha' – abbahuta ) [3] في الآرامية الغربية : אבהן و אבהת ( bhót' abhīn' ) ،وجمع ( أمَة ) في العبرية אַמְהוֹת و אַמָּהוֹת ) ( تقرأ : أمِهوت – أميهوت ) ، وفي السريانية اَمِؤُتُا ( أمِهاتا ) ، وفي الآرامية الغربية אמהתא و אַמהַן ( تقرأ : أمهاتا – أَمهَن ) ، وفي العربية أمَوات – وجمع ( اسم ) في السريانية شمُؤُتا – شمُؤُا ( شمَهاتا – شماها ) ، وفي الآرامية الغربية שמהת و שמַהַן ( شمهَت – شمهِن ) مأخوذة من الجمع : šamawāt و šamawīn – وجمع ( حم ) في السريانية ܚܡܝܢ ( حماها ) مأخوذة من hamawin " 3 .

ويؤكد د.عبد الرحمن السليمان أن " إضافة الهاء في جمع ( أم ) مطردة في السريانية والعبرية وغيرها من اللغات السامية ( مثلا : אם - אמהות) إلا أن العربية تفردت باحتفاظها بالشكلين معا ( أُمّات ) وهي الأصل و ( أمّهات ) وهي الفرع الذي طغى على الأصل في الاستعمال " 4 .

و يرى برجشتراسر قدم الهاء في الجمع في العربية فهي " علامة للجمع قديمة جدا ... وتنحصر في الأسماء الثنائية ولاتنفرد وحدها بل يزيد الاسم بزيادتها ثلاثيا ثم يجمع بالجمع الصحيح أو المكسر مثال ذلك عن الجمع الصحيح : ( أب ) كان جمعها abahat وهي في الآرامية abahata

---

[1]- انظر المراجع التالية : اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، 106- 174 / - قاموس كلداني عربي ، باب الألف ، ص1 . / الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية 14 . وانظر أيضا :
- L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 1

[2]- في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، 251

[3] -O. E. Lindberg: Vergleichende grammatik , 116

[4]- ملاحظات ومقارنات لغوية ، عبد الرحمن السليمان , ص3

، وقيس عليه : أمّ أمّهات ، وإن لم تكن أم من الاسماء الثنائية فجمعها بالهاء قديم أيضا ، يشاكله في الآرامية emmhata ، و سنة : سنهات ، وعضة عضات ، ومنه في العبرية amahot ، وهي في الآرامية : amhata أي الإماء ، ولا جمع على الهاء من ( أمَة ) في العربية " [1] .

ولا يرد علينا بأن الأم ليست من الأسماء الثنائية في جمعها ( أمّهات ) كما أشار برجشتراسر؛ فإن هذا التضعيف قد حدث في ( أبّهات ) أيضا في تضعيف الباء هربا من توالي مقطعين قصيرين مفتوحين ، وكان الهدف في الأساس تكملة عدة الثنائي، حدث ذلك في العامية العراقية والمصرية وغيرهما.

يشير إلى ذلك د. إبراهيم السامرائي الذي رأى " أن الهاء في ( أبهات ) شيء من تمام عدة الثلاثي وهربا من الثنائي ، فأوضح أن ( الهاء ) في أصلها قد جيء بها لهذه الفائدة ولكن النطق العامي قد طوي هذه الفائدة بتضعيف الباء ، وهذا من سنة العوام في الإفادة من التضعيف لغرض الحصول على ثلاثة الأحرف ونظير هذا في العربية الفصيحة ( سنهات ) وهي مثل ( سنوات ) " [2] .

ويرى أرينز " أن الجذور الأصلية للأسماء والأفعال ذات صامتين ثم تثلث هذه الجذور بواسطة أحد الأصوات المساعدة وهي : ( ي – و – ء – هـ – ن ) ، ففي الأسماء تستعمل الهاء كأصل ثالث مفتعل في الآرامية والعربية " [3] . و كان Lindberg قد عده نوعا من المخالفة وقصره على الكلمات الثنائية في الساكن الثاني الميم والباء [4].

و الملاحظ أن الجمع في ( أم ) بالهاء شائع جدا في السريانية مما جعل رفائيل نخلة اليسوعي يعتقد أنها " من الكلمات التي أخذتها العربية من السريانية " [5] . وجعله صاحب اللمعة الشهية جمعا خارجا عن القاعدة لخلو مفرده من تاء التأنيث اِمُا ← اِمؤُةُا emhoto [6] .و أشار يعقوب أوجين منا

---

[1]- التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر, 111 - 112

[2]- دراسات في اللغتين العربية والسريانية ، إبراهيم السامرائي ، 32

[3]- انظر : المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات السامية ، عمر صابر عبد الجليل , 12

[4] -O. E. Lindberg: 116

[5]- غرائب اللغة العربية ، الأب رفائيل نخلة اليسوعي, 173

[6]- اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، إقليميس يوسف داود الموصلي, 106

إلى صيغتين لجمع الأم في السريانية " ܐܡܗܬܐ emhoto ، ܐܡܗܐ emhā " [1] . وجعلها الدكتور رمضان عبد التواب وبولس الكفرنيس من الأسماء الشاذة في الجمع في السريانية [2] . وجعل بولس الكفرنيس الهاء في تلك الجموع الثنائية الجذر"من قلب الحرف المحذوف منها هاء للخفة"[3] .

و الجدير بالذكر أن النسب إلى أم وأب في السريانية بالهاء والياء وليس بالواو والياء كما يحدث في العربية : ܐܒ : ܐܒܗ - ܐܡܗ : ܐܡ [4] . ( آبا – أبهيا ، أما – أمهيا ) .

وبالبحث في النقوش الجنوبية نجد صيغا مقابلة لـ ( أمهات ) ففيها " قد ينتهي بناء الجمع بالهاء كما في : abh' ( آباء ) ، و mh' ( إماء ) جمعا لـ mt' ، كما وردت في mht' بزيادة علامة التأنيث للجمع أيضا فأصبحت تقابل ( أمّهات ) في العربية " [5] .

وبعد هذا العرض المقارن يتضح للباحث أن الهاء في الجمع ( أمهات ) هي هاء زائدة لا أصلية كما زعم ابن درستويه ، زادت لتضخيم اللفظ أو تكثيره أو تعظيمه ، ولا تصلح للاستدلال على أن المفرد ( أمّهة ) كما زعم ، لأنه استدلال عكسي ، فنحن نستدل بالمفرد على الجمع وليس بالجمع على المفرد لأن الأصل فيهما هو المفرد والفرع هو الجمع وثبت من القرآن والسنة والنقوش العربية القديمة والدراسات السامية المقارنة أن المفرد ( أم ) .

ولا يستدل علينا ابن درستويه بالفعل لأن الفعل موضوع من الاسم الجامد كما وضحنا في ( أب وأخ ) والاستشهاد بالنظائر الموجودة فعليا لايصلح للاستدلال على أصل غير موجود أو أقصى وجود له هو سماعه شاذا من بعض الأعراب ، كما لايصلح الاستدلال بالاسم المصغر ( أميمهة ) لأنه

---

[1]- قاموس كلداني عربي ، المطران يعقوب أوجين منا , 24

[2]- في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية ، رمضان عبد التواب , 193 / غرامطيق اللغة الآرامية السريانية , بولس الكفرنيس , 57

[3]- غرامطيق اللغة الآرامية السريانية , 69

[4]- الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية ، يعقوب أوجين منا . 58

[5]- قواعد النقوش العربية الجنوبية ، كتابات المسند ، ألفريد بيستون , 46

من وضع ابن درستويه نفسه ، والاسم المصغر ( أميمة ) يوجد في الأشعار القديمة ولا يوجد ( أميمهة ) قال النابغة [1]: ( طويل )

كِلِيني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةُ ناصِبِ وليلٍ أُقاسيهِ بَطِيءِ الكواكِبِ

***

**ثالثا : ( دمم )**

اختلف العلماء في ( الدم ) : هل هي على حرفين أم على ثلاثة ؟ وإن كانت على ثلاثة فما الحرف الثالث هل هو الياء أم الواو ؟ وفي هذه الحالة ما حركة الميم هل هي متحركة أم ساكنة ؟

جاء عند ابن هشام اللخمي : " زعم سيبويه أن الدم في الاصل ساكن العين قال أبو العباس المبرد : هذا خطأ ، لأنك تقول في فعله دمي يدمي ، وجاء في الحديث : ( هل أنت إلا إصبعٌ دميت ) فمصدر هذا لايكون إلا فَعَلا ، كما تقول : فرِق يفرَق والمصدر الفَرَق ، وكذلك الحذَر والبَطَر ، وجميع هذا الباب ، قال : ومن الدليل على أنه فعَل أن الشاعر لما اضطر إلى رد المحذوف لإقامة الوزن جاء به على هذا الأصل ، فقال : ( وافر )

فَلَو أنّا عَلَى حَجَرٍ ذُبِحْنا جَرَى الدَّمَيانِ بِالخَبرِ اليَقِينِ " 2 .

ويرد ابن هشام اللخمي على المبرد " قال : وهذا الذي احتج به أبو العباس لا يلزم ؛ لأن الكلام في الدم المسفوح لا في مصدره وقد يكون الشيء على وزن ، فإذا صرف منه فعل كان مصدر ذلك الفعل على غير لفظه ... فأما احتجاجه بقوله في البيت : جرى الدميان ، فلا حجة فيه أيضا ؛ لأنه حرك الميم إشعارا بأنها في المفرد متحركة بحركة الإعراب " [3] .

لكن ابن سيدة كان له رأي آخر في تعليل تحرك الميم " قال ابن سيدة : وقال قوم : أصله دَمْيٌ . إلا أنه لما حذف ورد إليه ما حذف منه تحركت الميم لتدل الحركة على أنه استعمل محذوفا " [4] .

---

[1] - ديوان النابغة الذبياني 29
[2] - شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 189
[3] - شرح الفصيح ، ابن هشام اللخمي , 190
[4] - انظر : لسان العرب / دمي

واختلفوا في الذاهب من ( دم ) بزعمهم ولكن معظمهم يكادون يتفقون على أنه ثلاثي ، يقول الزمخشري في شرحه : " الدم اسم محذوف ذهبت لامه ، واختلفوا في الذاهب منه فقال بعضهم : ياء وقال آخرون : واو لأنه يقال في التثنية دميان ودموان " [1] .

في حين نجد ابن درستويه يريحنا من عناء هذا الخلاف فيقرر أن المحذوف ياء : " وأما الدم فحذفت من آخره الياء في الإفراد والتوحيد كما حذفت الواو من أب وأخ فإذا ثني فمن العرب من يرد فيه الياء فيقول دميان . ومنهم من لايردها ولكن يقول : دمان ، وكلهم لا يردونها في الإضافة يقولون دمك ، ودم زيد " [2] . والعجيب في الأمر أن ابن درستويه نفسه الذي كان يتمسك بأن الاضافة ترد الأشياء إلى أصولها كما ردت الثالث في ( أب وأخ ) إلا أنه هنا يتجاهل ذلك !! .

وكما فعل من قبل في تأصيله لكلمة ( أم ) يستعين في تأصيل ( دم ) بالفعل والجمع والتصغير ، " إذا صرف منه الفعل أو من أب وأخ ، رد فيه المحذوف فقيل : دَمِي يَدمَي دمىً . وكذلك إذا جمع قيل : الدماء ... وكذلك ترد في التصغير فيقال : دُمَيّ " [3] . وكنا قد رددنا عليه هذه الاستشهادات في ( أم ) .

وكان آخرون قد رأوا أن الدم ثنائي " قال أبو الهيثم : دم اسم على حرفين ، قال الكسائي : لا أعرف أحدا يثقل الدم " [4] . وإذا كان من العرب من ثناه بالياء وهو الغالب – كان منهم من ثناه بدون الياء ، وكان فريق ثالث يثنونه بالواو وهو قليل ، الأمر الذي جعلهم يقولون : " أما الدموان فشاذ سماعا " [5] .

كل هذه الخلافات أمر طبيعي ومتوقع مع اختلاف الناطقين وبيئاتهم وعاداتهم اللغوية وهو ما يدل على أن الجذر ثنائي تعاورته الألسنة ، كل بطريقتها . وقد لاحظنا فيما سبق أن اللغة في تطورها تبدأ

---

[1]- شرح الفصيح ، للزمخشري , 571
[2]- تصحيح الفصيح و شرحه ، لابن درستويه , 395
[3]- تصحيح الفصيح و شرحه , 395
[4]- لسان العرب / دمي
[5]- لسان العرب / دمي

بالمحسوسات باتجاه المعاني وتبدأ بالجوامد باتجاه الأفعال وتبدأ من القليل إلى المتعدد ، ومن المقطع الصغير إلى المقطع الأكبر ، وبعبارة أخرى تبدأ من البسيط إلى المركب ، وهي في تحركها تنمو وتنضج حتى تصل إلى نظام ثابت مستقر يتعارف عليه أهلها ويرتاحون له عن قصد منهم أو بلا قصد .

وفي طريق استقرار اللغة نجد أصحابها يوحدون على نظامها كلَّ ما خرج عنه أو بعبارة أخرى تكمل ما نقص ليتواءم ونظامها اللغوي وليطرد الباب على وتيرة واحدة ، وهذا أمر مقبول مطرد ، أما ما لا يُقبل فهو أن نخلق بأيدينا أفعالا من الأسماء الجامدة ، ثم ننقلب على تلك الأسماء لنخضعها إلى ما صنعناه منها !! .

وهذا ما حدث بالضبط في كلمة ( دم ) – وغيرها – وهي بلا شك جذر ثنائي بقى من دلائل الركام اللغوي التي تؤكد الثنائية الأولى في النظام اللغوي ، فإذا ما احتاج أهل اللغة إلى فعل من ( الدم ) كان التثليث بالصائت هو الحل الأمثل والغالب في مثل هذه الحالات ، والصوائت مائعة على الألسن ، فمنهم من جعله بالياء وهو الأعم الأغلب ، ومنهم من انحرف إلى الواو وهو قليل نادر في بعض اللهجات .

وهذا من طبيعة الصوائت فهي تميع على الألسن وتتبادل فيما بينها حتى إننا لنلاحظ أن اللغات السامية تتفق في كثير من الحالات من ناحية السواكن ويصعب – إن لم يكن مستحيلا – توافقها في الصوائت ، بل إننا لا نجد هذا الاتفاق على مستوى اللغة الواحدة في لهجاتها المتنوعة ! .

***

والمقارنات السامية [1] تؤكد لنا ما نذهب إليه من ثنائية ( دم ) مع اختلاف الألسنة في الصائت الثالث ما بين فتح وضم وكسر ، فاللفظ في العبرية דָּם dām بحركة طويلة بعد الدال ، وإذا ما

[1]- انظر: - المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي , 215- معجم مفردات المشترك السامي , 174 - المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات السامية ، 71 - في قواعد الساميات , 411

أضيفت قَصُرت الحركة ، فتصبح عند إضافتها דַּם הַיֶּלֶד دم الطفل [1] . ( dam hayyeled ) . وورد في سفر يونس (דָּם ) [2] . و كان مروان بن جناح قد أشار في معجمه العبري إلى أن " هناك مواد ثنائية تجمع وتضاف بغير تشديد مثل דָּם ، דָּמִים" [3] . dām - dāmīm .

والكلمة في الحبشية dam، وفي السريانية ܕܡ dem، وفي الآشورية damu ، وفي الآرامية דָּם dām ، وفي الأكادية dāmu . و dāmum بالتمييم .

وأكد بروكلمان وأوليري أنه في الآراميةdemā ، وفي الأشورية dāmu [4] . في حين أكد د ربحي كمال أنه في الآرامية : דָּם – דְּמָא dam – dmā [5]. كما ذكر إيشو بارعلي وإسرائيل ولفنسون ، ويعقوب أوجين منا ، وإغناطيوس يعقوب الثالث ، وبولس الكفرنيس على أنها في السريانية دما dmā[6] . وجمع بين الصيغتين جزينيوس ولويس كوستاز [7] . ولعله جمع الصيغة المعرفة مع النكرة .

وفي العربية الجنوبية جاء في المعجم السبئي " الاسم : Dm . dmw–m ، والفعل المضارع : ydmw [8] . ويشير محمد عبد القادر بافقيه " أنه ليس من المستبعد أن يكون التمييم أحيانا بمنزلة لام الجنس في العربية نحو : دمم ( د م م ) الدم . " [9] .

---

[1]- انظر : اللغة العبرية ، سيد فرج راشد , 106

[2]- دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال , 554

[3]- المعاجم العبرية دراسة مقارنة ، سلوى ناظم , 138

[4] -C. Brockelmann: Kurzgefasste vegleichende Grammatik 156
O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages, 177

[5] - دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال , 554

[6] -Isho.B.Ali: The Syriac –Arabic glasses ,
346 انظر :
وانظر أيضا : تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنسون , 286 / الأصول الجلية , 99 / البراهين الحسية , 82 / غرامطيق اللغة الآرامية السريانية 295

[7] -W.Gesenius: 196
L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 66

[8] -A.F.L Beeston , 36

[9]- مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، محمد عبد القادر بافقيه وآخرون , 76

ويتضح أن الفعل في العربية الجنوبية بالواو ، لذا فهو يختلف مع ما ذهب إليه علماء العربية من أنه بالياء ، ويؤكد ما ذهبنا إليه من التفاوت الطبيعي بين الصوائت في الساميات فهو واقع بالواو " في العربية الجنوبية دمو ( د م و ) : فعل مشتق من : دم دم بمعنى : دَمِي ، نزف " [1] .

وهذا يخرج بنا إلى النتيجة الحتمية وهي أنه يوجد " في اللغات السامية كثير من الأسماء الثنائية السواكن بالإضافة إلى الأسماء الأحادية ، فلابد أن يحكم على أنها قديمة قدما مناسبا بسبب ما تدل عليه ، ومنها دم ... إن عزو هذه الأسماء إلى الجذور الثلاثية السواكن يجب رفضه لكونه مفتعلا ومتكلفا " [2] .

وقد ناقش علماء اللغة المعاصرون – خاصة المستشرقين – كثيرا من الأصول اللغوية التي ترجع إلى جذرين اثنين ، والتبس الأمر على بعض منهم بأن تلك الأصول ثلاثية ، في حين أشار آخرون إلى عزو كثير من الثلاثيات إلى النظرية الثنائية من جانب ، ومن جانب آخر إلى أصول ثنائية ما زالت قائمة بالفعل أنراها ثنائية على حقيقتها في مثل ( يد – غد – اسم ) وغيرها أونراها زادت حرفا غير أصيل مثل زيادة تاء التأنيث في أمثال عضة ورئة ومئة واللات وسنة وشفة وأمة .

و يشير ألفريد بيستون في قواعد النقوش العربية الجنوبية إلى " أسماء ثنائية الجذر نحو : L ‘ ( إله ) و ḫ ‘ ( أخ ) ، و yd ( يد ) و سواها وإن كانت تتحول إلى جذور ثلاثية في المشتقات بإضافة حرف معتل غالبا كما فعل في ḫ’w ( تحالف ) " [3] .

ومثل شفة بإضافة التاء موجودة في العربية الجنوبية أيضا " وربما نشأت بعض الأفعال الثلاثية الثانوية بأن يعد حرف التاء أصيلا في بناء الاسم بالرغم من أنه ليس كذلك كما في الفعل : śft ( وعد ) الذي ربما كان مشتقا من الاسم : śft ( شفة ) لأنه اسم ثنائي الجذر أضيف إليه العنصر t – " [4] .

---

[1]- المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات السامية ، عمر صابر عبد الجليل , 71
[2]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، سباتينيو موسكاتي و آخرون , 126
[3]- قواعد النقوش العربية الجنوبية ، كتابات المسند ، 21
[4]- قواعد النقوش العربية الجنوبية ، 21

و في التثليث أيضا في العربية الجنوبية " تتحول كلمتا bn و ḫ' في نقوش المرحلة التالية للمرحلة المبكرة أحيانا إلى bny و ḫ'y إذا أضيفتا إلى الضمائر كما في :

'lhn w bnyhw ŝmrm mlky sb' ( فلان وابنه فلان ملكا سبأ )

- و : 'lŝrḥ yḥḍb w' ḫyhw y' zl bny mlky sb' ( فلان وأخوه فلان ملكا سبأ ) "[1].

وأشار كارل بروكلمان إلى العديد من هذه الصيغ الثنائية المكونة من حرفين[2] ، ومنها في العربية : شفة – ماء ، وفي العبرية miim, ŝafa ، وفي السريانية seftā, maiia ، وفي الأشورية ŝaptu , mé وفي الآرامية ŝaft , mā وفي الحبشية mai.

و في السريانية تتعدد نفس الكلمات العربية المكونة من حرفين ، يقول صاحب اللمعة الشهية : " أما الأسماء الحاصلة من حرفين فهي في الغالب الأسماء العربية نفسها التي حالها كذلك وهي :

– ابا ('ābā) = أب – برا (brā) = ابن – احا ('āḫā) = أخ – دما (dmā) = دم – شما (ŝmā) = اسم – زنا (znā) = نوع[3].

وفي المصرية القديمة ( من الحاميات ) تنتشر بكثرة الكلمات ثنائية الجذور منها :

– spt شفة – mu ماء – su ذا "[4].

و تتضح أيضا في العبرية ثنائية الأفعال المعتلة " يتضح هذا من كلام إبراهيم بن عزرا : اعلم أن كل القدماء كانوا يقولون أن جذر יָרֵךְ ( يارخ ) هو רך فقط ، وجذر יָשֵׁב (ياشب ) هو كذلك שב وجذر עָשֵׂה ( عاشا) هو עש فقط وهكذا وجدوا هذه الأفعال ... وجذر נָגֵעַ ( ناجع ) هو נג

[1]- قواعد النقوش العربية الجنوبية ، 44

[2] -C. Brockelmann : Precis de linguistique semitique , 125

[3]- اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، إقليميس يوسف داود الموصلي 86

[4] -C. Brockelmann : Precis de linguistique semitique , 125

وجذر נטה ( ناطا) ، هو حرف ט الطاء فقط و זי هو ז الزاين فقط ... وهكذا كانت وجهة نظر يهودا بن قوريش ومناحم بن سروق " [1] .

و من الثنائيات أيضا في العبرية יד ( يد ) وهي في الآرامية אדא ، ידא ( يدا ) ، وفي السبئية יד ( يد) ، وفي الحبشية ( ʾad) ، وفي الأشورية īdu [2] .

وفي اللغات السامية الحامية " تدعم المقارنة الفرضية الثنائية السواكن ، ففي السامية : قتل qtl ، في الكوشية : قَل qal ، و السامية بعل pʿL ( بمعنى فعل fʿL ... ) ، والكوشية فل fal " [3] . وفيها نجد المصرية القديمة والتي تتميز أصولها بأنها مركبة غالبا من حرفين [4] .

ومن أشهر المفارقات في هذا الشأن ما يخص الثنائية ( اسم ) " فليست الهمزة في اسم العربية إلا همزة وصل لا تعويض عن الفاء في رأي الكوفيين أو عن اللام في رأي البصريين فقد قال الكوفيون إن أصل الكلمة ( وسم ) وقال البصريون أصلها : ( سمو ) ! " [5] .

وتشير المقارنة بالساميات إلى أن ( اسم ) ثنائي الجذر فهي تقابل :

- שמא ŝmā في السريانية وأصلها ŝum - Sem في الحبشية .

- ŝumu في الأشورية والأكدية - والعبرية توافق العربية فهو فيها ŝém [6] .

ولقد أكد هذه المرحلية اللغوية كثير من المعاصرين ؛ فيذهب ولفنسون إلى " أن الكلمات المؤلفة من حرفين ... إنما هي أقدم من الأفعال المشتقة من ثلاثة حروف مثل فعل وكتب وأكل ، وأن

[1]- المعاجم العبرية دراسة مقارنة ، سلوى ناظم 46

[2] -W.Gesenius: Hebrew and English lexicon, 388

[3]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 126 .

[4]- مفتاح اللغة المصرية القديمة ، أنطون ذكري 42 .

[5]- في قواعد الساميات ، رمضان عبد التواب 148 .

[6]- انظر : في قواعد الساميات ، رمضان عبد التواب 116 / التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر 55

الأفعال الثلاثية أقدم من الأفعال الرباعية " [1] . كما يشير د. السيد يعقوب بكر إلى أنه " في مرحلة معينة ساد النظام الثلاثي فدخلت فيه الجذور الثنائية بإضافة حرف ثالث إليها " [2] .

و أشار نولدكة أيضا إلى مثل ذلك حول هذه الثنائيات ووصفها بأنها " مغرقة في القدم وأن تلك الصيغ التي تبدو من هذه المواد وكأنها ثلاثية تفسر باعتبارها تمثل اتجاها في التغير نحو الثلاثية " [3] . و استدل جرجي زيدان على صدق هذا الاتجاه " أن الحرف المزاد واقع في آخر الكلمة وهذا هو الأغلب" [4] .

ومن القدماء يمكننا أن نشير إلى أن ابن جني كان من القلائل الذين شعروا بالثنائية في كثير من الكلمات ففي باب ( يد ، دم ، هن ) يشير إلى أنها كلمات ناقصة " وهو باب لم يأت تاما على أصله إلا في أماكن شاذة ... وعلمي أن منها ما لم يأت على أصله البتة وهو معرب ، وهو حِرٌ وسَهٌ وفَمٌ " [5] .

فهذا العالم يشير إلى الثلاثية كأصل و لكنه يدرك أن بعض الكلمات ثنائية لم تأت ثلاثية في أي صورة ، وكان يشير إلى فساد بعض العلل في تفسير القدماء للثنائيات بوصفها ثلاثيات ، الأمر الذي يشير إلى خلل كبير في معالجتهم للثنائيات [6] .

وقد عرضنا تلك النظرة التاريخية لتأكيد القول بثنائية العديد من الألفاظ في العربية جاء منها جانب خلافي اتضح في اختلاف شراح الفصيح حول عدد من الأصول الثنائية الشهيرة و الأكثر استخداما في اللغة العربية أهمها :{ ( أب – أخ ) ، و ( دم ) ، و ( أم )}، اختلفوا في رؤى عديدة لكنهم اتفقوا على ثلاثية تلك الجذور .

---

[1]- تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنسون 16
[2]- الحضارات السامية القديمة ، سباتينو موسكاتي 241
[3]- مدخل إلى علم اللغة ، محمود فهمي حجازي 98
[4]- الألفاظ العربية و الفلسفة اللغوية ، جرجي زيدان 48
[5]- الخصائص ، 1 / 170
[6]- انظر : الخصائص ، 1 / 172

الجدير بالذكر أن دراسات المستشرقين كان لها فضل عظيم في كشف حقيقة كثير من تلك الثنائيات العربية . ومن ذلك ما قدمه Barth وبروكلمان وغيرهما حول عدد من الكلمات الثنائية في اللغة العربية واللغات السامية ومنها : ( حم – أخ – أم – اثن – شفة – شاة – عضة – دم – فم – يد – ابن – اسم – قوس – مئة – است – سنة – أمة – فئة – حظة– ذو – هن – رحى – ثدي – جب – جرو ) [1] .

[1]- J.Barth: Die Nominalbildung in den Semitischen sprachen , 3 -9
- وناقش مثلها أيضا بروكلمان، انظر المرجعين :
C. Brockelmann: Kurzgefasste vegleichende Grammatik , 156
C. Brockelmann: Syrische Grammatik 57